المطارنة : ابرهام الارمني وجراسيموس مطران حلب الملكي . وديونيسيوس السرياني واثناسيوس مطران بيروت الملكي واليسوعيين رهبان عينطوره ولرهبان القدس في حريصا . وللكبوشيين في غزير . وكتب هو والبطاريرك للمشايخ الخوازنة في غوسطا وعجلتون وللحبيشية في غزير ومشايخ بسكنتا وساحل علما وبكفيا وبيت شباب ومشايخ بيروت الشلافنة . ولرشميا وقيتولي ودير القمر وزوق مكايل والبعض من خوارنة البلاد ولرئيس عام رهبان مار اشعيا مع باقي رؤساء الرهبانيات ليحضروا الى المجمع

يوم السبت ٢٩ ايلول اكملوا قراءة الكتاب واخذوا في الاستعداد لعمل المجمع يبتدئوا به يوم الاحد التابع واخذ جميع المدعوين يتوجهون الى لويزة

(لها بقيّة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ المطران جرمانوس فرحات

منذ استولت تركيّة على البلاد الناطقة بالضاد في الشطر الثاني من القرن السادس عشر أصيبت الآداب العربيّة بضربة أليمة . فكثرت الحروب وتفاقت الشرور حتى ضعفت همم الأدباء عموماً وكسدت اسواق المعارف وأقفلت المدارس الّا القليل منها لا تتجاوز في تعليمها مبادئ العربيّة وقلّما تجد بين المؤلفين كاتباً ذا سمة الاهمّ الّا في بعض العلوم الفقهيّة او النحويّة . وغاية ما يُذكر من شعراء ذلك الوقت ابيات

قليلة ذات معانٍ مبتذلة تشهد لصاحبها بالخمول دون النبوغ

وكانت حالة النصرانيّة سوأ اذ لم يجد تبعتُها اساتذةً جديرين بالتعليم فكان المسيحي اذا بلغ الى معرفة الكتابة والقراءة عُدّ من المعلمين الماهرين. امّا الشعر بينهم فانّهُ كان اسماً بلا مسمًّى. وقد رأيت شاهدًا على انحطاطهم في ما رويناهُ من الزجليّات السابقة المخلّة الاوزان الركيكة الانشاء.

وقد بقي الامر على هذا المنوال الى اواسط القرن السابع عشر حيث ظهرت في الشام نهضة كان المساعدون على تعزيزها المرسلين الذين قدموا الى سوريّة في العقد الثالث من القرن السابع عشر ومثلهم تلامذة رومية الموارنة فهؤلاء بثّوا في العموم وخصوصاً بين النصارى روح النشاط والغيرة التي ظهرت ثمرتها في اواخر ذلك العصر وفي اوائل القرن الثامن عشر وكان الفضل الاعظم في ذلك لحلب وطوائفها المسيحيّة المختلفة. فاشتهر بين بطاركتها واساقفتها بعض الكتبة الذين شاعت تآليفهم التي شرّفوا بها وطنهم الشهباء.

امّا الشعر النصراني فكان ظهورهُ بعد حين في اواخر القسم الثاني من القرن السابع عشر. فكان المجلّي في هذه الحلبة الراهب الحلبي جبرائيل ثمّ المسقف على وطنهِ باسم جرمانوس فرحات

﴿ ترجمتهُ ﴾ هو جبرائيل بن فرحات مطر الحلبيّ المولد والحصرونيّ الاصل. رأى النور في الشهباء في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠ وانكبّ منذ نعومة الاظفار على الدرس فبعد اتقانهِ البادئ في مكتب طائفتهِ تمّم اللغات على تلميذ رومية البارع الخوري بطرس التولوي واحرز الآداب اللغويّة والفنون العربيّة على بعض الشيوخ اخصهم الشيخ المسام سليمان النحوي والشيخ النصراني ابو المواهب يعقوب الشهير بالدبسيّ فاقرّ الجميع بنبوغهِ

وفي الخامسة والعشرين من عمرهِ احبّ ان يحيي في الشرق مآثر نسّاكهِ القدماء فبعث الرهبانيّات المنظّمة من موائها اذ لم يبقَ منها سوى ظلّها الخفيف. فاتّفق مع شبّان مثلهُ على ان يهجروا وطنهم ويأتوا الى لبنان كقدماء النسّاك وقد اشتهر منهم عبدالله قرآلي وجبرائيل حوّا ويوسف البتن. فتصدّق على عزمهم البطريرك اسطفانوس الدويهي وسكنوا مدّةً في دير مُرّت مورا. على انهُ وقع بينهم في السنين الاولى

بعض الاختلاف في تقرير رسوم الرهبنة كان سبباً لنفور جبرائيل فرحات واعتزاله عنهم ثم لسفره الى جهات صقلية وايطالية واسبانية

فلمَّا رجع الى لبنان سنة ١٧١٢ وكانت هدأت الخواطر انضمَّ الى الرهبانيَّة الجديدة وصار غير مرَّةٍ رئيساً عامًّا عليها الى ان اسند اليهِ البطريرك يعقوب عوَّاد رئاسة اسقفيَّة وطنهِ حلب في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥ فرعاها احسن رعاية وبهمتهِ نمت عدداً وفضلاً الى ان توفَّاهُ الله في ١٠ تموز سنة ١٧٣٢

وللسيِّد فرحات آثار كتابيَّة عدَّدهـا في المشرق (٧[٤١٩٠]: ١٠٥) المنسنيور جرجس منش راجع كتابنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة (ص ١٦٠ــ١٦٢). وقد اشتغل مـدَّة مع الآباء اليسوعيين فساعد الاب بطرس فروماج في بعض التعريبات بل كان انفرد في بعض السنين في ديرهم في طرابلس وفكَّر في الدخول في رهبانيَّتهم كما فعل بعدهُ الاب بطرس مبارك والمطران جرجس بين

﴿شعرهُ﴾ قد سبق لنا القول انَّ اوَّل ديوانٍ نصراني ظهر بحصر المعنى انما كان ديوان سليمان القزّي الذي روينا اخبارهُ. امَّا في النهضة الاخيرة في ختام القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر فكانت قصبة السباق للسيِّد جرمانوس فرحات. وقد شاع ديوانهُ منذ عهد حياتهِ فتعدَّدت نسخهُ في المكاتب ولاسيما في حلب وفي ادبرة لبنان. منهُ ست نسخ قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة. وقد سُرَّت مطبعتنا الكاثوليكيَّة بان صار لها شرف التقدُّم بنشر هذا الديوان نشرتهُ اوَّلاً مطبوعاً على الحجر سنة ١٨٥٠ ثمَّ تكرَّر طبعهُ على الحروف الى ان اهتمَّ المرحوم الشيخ سعيـد الخوري الشرتوني بمراجعتهِ وتصحيحه واضافة تعاليق عليهِ سنة ١٨٩٤

ومع كبر حجمهِ وعدد قصائدهِ ومقطَّعاتهِ البالغة الخمسمائة بنيف لا يزال بعض الادباء يقفون لهُ على منظومات لم ترَ في هذا الديوان. وقد نشرنا له في المشرق قصيدتين تأهَّبا في رثاء الشيخ ابراهيم حماده المحسن الى جميَّتهِ (٧[١٩٠٤]: ٢٨٨؛ ٢٤[١٩٢٦]: ٣٩٧). وكلّ ذلك ممَّا يثبت للسيِّد فرحات غزارة المادَّة وجودة القريحة

على انَّنا لا ننكر انَّ في شعرهِ بعض الضعف على حداثة عهـد شعراء النصارى بنظم الشعر فهو يكثر من استعمال الجوازات الشعريَّة فيسكن المتحرَّك ويحرِّك الساكن ويتسامح بما لا يتساهل باجازتهِ اهل اللغة. وكلّ ذلك احقّ ان يُنسب الى انحطاط

الآداب في عهده من نسبته الى شغفه . كيف لا وتجد بين منظوماته قصائد رنانة جارى فيها الشعراء المفلقين كقصيدته الرائية التي يتغزل فيها بكمالاته تعالى وهي تبلغ ستين بيتاً اولها (من البسيط) :

اللهُ اللهُ انتَ السمعُ والبصرُ في العاشقين وانت الفوزُ والوطرُ

واوسع منها نونيته في مديح القربان التي افتتحها بقوله (من الكامل) :

ذلّت لعزّةِ دينكَ الأديانُ وتكوّنت بوجودك الاكوانُ
يا أيها المولى يسوعُ ابنُ العلي انت الإلـه الفاطرُ الديّانُ
وافيتنا متجسّداً لخلاصنا من مريم يا أيها الرحمانُ

ومثلها حسناً تغزّلهُ بجمال قلب يسوع في همزيّته (من الكامل) :

يا قلبُ طِرْ من وُكنَة الاحشاء نحو الحبيبِ الفاخرِ الازياء

وما قولنا ببيتيّته التي أطرأ فيها كمالات العذراء مريم (من الكامل) :

لو كان للأفلاكِ نطقٌ او فمٌ لترنّموا بمديحكِ يا مريمُ

فهذه القصائد وكثير غيرها قد استحقّت اصاحبها ان يُنظَم في سلك كبار الشعراء . ويزيد فضلهُ في انشادها انهُ ابتكر تلك المواضيع الدينيّة التي لم يسبقهُ اليها غيرهُ من وصف اسرار وبسط عقائد وايضاح عادات نصرانيّة ونسكيّات رهبانيّة استجدّت في عصره ونهج فيها طريقاً لمن اتوا بعده

وقد تفنن السيّد فرحات في غيرها من قصائده فعارض قطرباً بمثلّثاته الدرّيّة وخمّس عينيّة الشيخ الرئيس ابن سينا في وصف النفس

هذا وقد وجدنا لهُ في نُسخ ديوانهِ المصونة في مكتبتنا الشرقيّة نحواً من ثلثين قصيدة او قطعة شعر لم تروَ في ديوانهِ المطبوع فها نحن نروي البعض منها كشذور

ذهبيّة حقًّا ان تُصان لكرامتها. فمن ذلك قصيدة تالها في عيد تجلي الربّ في طور تابور في افتتاح سنة ١٧٢١ (من الكامل):

هذا التجلّي فَاْعصَ فيهِ الأَدْمعا ... لترى المسيح بطُورهِ مترفّعا
يَنْسابُ جَدولُ نورهِ متبلّجاً ... في أُفقهِ أَحسِنْ بنُورٍ مَوْقعا
فترى الدَّراري من ضيا بَهائهِ ... وسَنا محاسنهِ الفريدةِ طُلّعا
فسما بهِ التابورُ لمّا ان سما ... بذُراهُ جَا ربٌّ وقدّسَ أَرْبُعَا
وجَلا وجوهُ الرُّسل لمّا أَنْ رأَوا ... ناسوتَ سيّدنا المسيحِ مُشَعْشِعَا
قد كان قبْلًا عنهمُ متوارياً ... في طيّهِ وبأَمرهِ مُتَبرْقِعا
أَبدى لهم يومَ التجلي ذاتَهُ ... كي يَعْرفوهُ المالئَ المُتوسّعا
فنراهُ في لاهوتهِ متكبّرًا ... ونراهُ في ناسوتهِ مُتخشّعا
بطبيعتَيْهِ جاء ينقذُ آدَماً ... متجسّدًا يسعى الينا مُذْ سَعَى
عمّ الكسوفُ الشمسَ في جَلَيانهِ ... والبدرُ أَقسَمَ انّهُ لَنْ يَطْلعا
وكذا النجومُ الزُّهرُ وَلّت مُذْ رأَت ... نورَ الإلهِ محقّقاً ما أَبدعا
هذا نهارُ أُولي الإلهِ ورُسْلهِ م الابرارِ لمّا شاهدوهُ المُبْدِعا
شامُوا ضياءَ إلهِهم فتحيّروا ... ورأَوا ضياءَ الشمس منهُ أَسفعا
وأَراهمُ ذاكَ المقامَ ممجّدًا ... ونسَوْا بهِ في الحالِ آيةَ يُوشَعا
هذا نهارُ اليُمن والإيمانِ في ... آثارهِ وبمثلهِ لن يُسمَعا
ماءُ النعيمِ برَوْضهِ متدفّقٌ ... رِدْهُ اذا ما رُمتَ فيهِ المرتعا
قلبُ الشجيِّ مشوّقٌ فيهِ كما ... كَبِدُ الحليّ تكادُ ان تتصدّعا

فترى قلوب الحاسدين ذكيّةً وعيونهم في النور أضحت رُتّما
سَقيا هِضابِ الطورِ لمّا أن بدا في افقهِ ربٌّ تجلّى مُبدعا
وعلاهُ من مولاهُ ما قد زانهُ ورعاهُ ممّا شان ذاك وأفظعا
وسقاهُ من ذاك الحيا طَلّ الندى يكسوهُ ثوباً بالزهور مجزّعا
شمسُ الهدى بزغت بأفقِ سمائهِ وبدا شعاعُ ضيائها ان يسطعا
هذا مسيحُ الله في اكنافهِ متجلبباً متمجّدًا مسترفعا
مِعراجهُ للطور يوضحُ انهُ ملكٌ بدا بين الانام مُشيّعا
واتاهُ صوتُ ابيهِ يهتفُ شاهدًا هذا هو ابني فامنحوهُ المسمعا
واختار بطرسَ في تجلّيهِ كما إختارهُ رأساً يفوق الاربعا (١
واتى بيعقوبِ ويوحنّا الذي قد كان في الرسل الكرام المصقعا
فتحيّروا ممّا رأوهُ بارقاً من نورهِ لمّا بدا ان يلمعا
وسرادقٌ مُدّت عليهم بغتةً مرفوعةٌ من مجدهِ لن ترفعا
نورٌ حقيقيٌّ عليهم مشرقٌ حتى غدوا صرعى لذلك هُجّعا
لا مثل نورِ المُبدعين وحُزبهم لا يطلعن من غير ان يتصنّعا

وختمها بتنديده لمزاعم المبدعين بقوله :

لكنّا نحن نرى بأن الذي يُرَى هو مجدُ ناسوتِ المسيح موشّعا

(١) قال في حاشيته : يعني انّ السيد المسيح اختار رياسة كرسي بطرس الرسول ان ترأس الكراسي الاربعة اي كرسي القسطنطينيّة والاسكندرية وانطاكية واورشليم

هذا هو الحقّ الصراحُ ومن يَرُمْ طُرق الهدى يُلقِ الينا المِسمعا

ومما لم يُرْوَ في ديوانهِ قولهُ يشجع نفسهُ وقد ضايقتهُ هواجس ابليس في افكار العالم سنة ١٧١٢ (من مجزوء الرجز):

فيا لكم رأيتُني ومن بُكاء أجهشا
اتانا ابليس مُخا دعاً لنا وقد رشا
وآنسَ القلبَ وكم آنسَ لي توحُّشا
تَرى وقد وَسوسَ لي بفعلهِ وأوحشا
مشى اليّ لا رِضىً عليّ لمَّا ان مَشَى
يرومُ سرّي انهُ بذلك السرّ فشا
فوشى بي وقد ارا دُ يتلاهى كيف شا
خزيتَ ابليسُ كفى لا تَرْضَ عيني بالعَشا

ويروى لهُ قولهُ في وصف رجل من الغرب امتلك باسمهِ ملكاً ثمَّ اختلسهُ منهُ (من الوافر):

بأرض الغرب أبصرنا فعالاً تذكّرنا فِعال المُفترينا
بإنسانٍ اراناهُ الخير لفظاً بلا معنىً فخلناهُ مُعينا
دعانا اوّلاً حتّى حضرنا فكان من الرجال الناكثينا
وكان سَحابُهُ فينا جَهاماً وخُلّبُ برقهِ وعداً خؤوناً
بنى ما قد بناهُ على دمانا دم الشهداء والرهبان فينا
فان يثبت فذا يشهد عليهِ وان يسقط جزاءُ الظالمينا

وقال يهجو القضاة الجائرين سنة ١٧٢١ (من الطويل) :

سألتُ القضاةَ الآنَ والشرعُ مُشتكٍ عليهم ومنهم يشتكي الجَوْرَ والثِّقلا
فَلِمْ جُرْتُمُ في الشرعِ والشرعُ عادلٌ وجُرْتُم بهِ عدلًا وحُزْتم بهِ عَذْلا
اجابوا لنا انَّ الزمانَ مُواربٌ وكلٌّ لهُ فَنٌّ بهِ يَقْتَضي شُغْلا
فلمَّا رأينا الدهر بالحقِّ ماثلًا فَلْنا وكان الظُّلم في شرعنا عدلا
ولو لَمْ نَجُرْ في الحكم اصبحَ شرعُنا وعرضُ القضاةِ الآنَ بين الورى نَذْلا
لأنَّا بوادي الجور ننساب والذي يراهُ نراهُ والهوى جامعٌ شَمْلا
فلا تنكروا منَّا ومن ذاك ريبةً اذا كان دمعُ العين للمذنب النُّسْلا
فكم هفوةٍ جاءت باثواب توبةٍ تجرَّ اذيالًا تُواري بها فِعْلا
ومن قبلُ قد شانت بشأنِ رسولها فكم صدَّقت رُسْلا وكم كذَّبت رُسْلا
ألا انَّما عقلُ الحكيمِ منزَّهٌ عن الجهل فيما يقتضي العقل لا الجهلا

وقال يقابل بين دموع التوبة ودموع المحبة (من البسيط) :

أنحَلْتَ يا دَمعُ جِسْمي فارْفُقَنَّ بهِ واكْفُفْ لأنِّي علمتُ الإثمَ أنحاني
فدمعةُ الحبِّ تُبقي الجسمَ مبتهجاً ودمعةُ الإثمِ تُبلي الجسمَ بالوَهَنِ
شتَّانَ بين دموعِ الحبِّ ان صدقتْ فيهِ وبين دموعِ الإثمِ والدَّرَنِ

وقال في تجسد ابن الله ورفعة الانسان (من الكامل) :

صار الالهُ بحبِّهِ متأنِّساً من مريمٍ فهي الرجا والبابُ
يخلِّص الخاطي الاسيرَ بموته ويؤلِّهُ الانسانَ وهو ترابُ

وقال في فضيلة التقوى (من البسيط) :

محبَّةُ الله روحُ النفس تُنعشها فينا ولكن لها روحٌ بها الرّضوى
فالجسمُ من غير روحٍ ميّتٌ وكذا محبَّةُ اللهِ لا تحيا بلا تقوى
تقوى الفضائلُ بالتقوى فلن تقوى من عارضٍ ما وإن أقوت فلن تقوى

وقال في انتقال العذراء الى السماء (من البسيط) :

ربُّ السماوات والارضين قاطبةً لاق انتقالكِ يا بكرًا ولدتيهِ
لمّا حصلتِ لهُ امًّا ومُرضعةً حصلتِ في مجدهِ السامي وحُزتيهِ
اذ صار ناسوتهُ منك بقوّتهِ اراد يمنحُكِ ما قد منحتيهِ
خُذي يمين ابنكِ امًّا مُنجدةً فالمثلُ بالمثل شرعاً منهُ تلتقيهِ

والسيّد فرحات قصيدة فنّد من نكر فيها حريّة الانسان في اعمالهِ حاملًا تلك الاعمال على القضاء والقدر منها قولهُ (من مجزوء الكامل) :

يا مَنْ خطَوْتَ الى الرَّدَى لا تَعْتبنَّ على الخُطَى
اذ انت صِرْتَ مخيَّرًا من مُبْدعٍ فيما مضى
أفليس للانسان في الأرزاقِ الّا ما سعى ؟
اين المقدَّرُ قُلْ لنا والعقلُ يصنَعُ ما يَرى؟
فعلامَ تقتلُ سارقاً وعلامَ تمدحُ من وفى؟
ان كنت يا ذا تُجبَرًا فالله يظلمُ من جنى
افسدتَ شرْعَ الله والا مرحكامَ كلًّا والنُّهى

زال الثوابُ عن التُّقى وكذا العقابُ عن الزنا
كذبَ الكتاب فلا صلا ةٌ تُرتجى من ذي التقى
حاشا لربّ عادلٍ بقضائهِ بين الورى
يبدو لدينا جائرًا او قاسياً مثل العدى
فارحم حياتك وانتزحْ عمّا تراهُ من العَمى
يوماً تُدان وتقتضي ذاك الجزاء بلا مِرَا
فالخيرُ خيرُك ان بدا والشرُّ شرُّك ان جرى
انت المُثابُ على الوفا انت المدان على الاذى
ان صالحاً او طالحاً ولكلّ مرء ما نوى

وللسيّد الشاعر الحلبيّ غير ما ذكرنا مما لم يُنشر بالطبع الّا انّ الباقي منهُ قد تشوّه بالنَّسخ والمسخ فنكتفي بما سبق

(لهُ بقية)

مشروع المَصحّات في لبنان

بقلم الدكتور توفيق سالم طبيب مَصَحّ عين اورس قرب بيدات «المتن»

لا بدَّ لكلّ من يُعنى بهيئةٍ ان يُلقي عليها حيناً بعد آخر ولاسيما في آخر كلّ سنة نظرة خصوصيَّة يستوضح بها مجمل ما قد أنجز. فعملًا بهذا الداعي الفطريّ كتبت هذه المحاضرة أمل ان يكون منها فائدة لبلادي تجاه ما يتهدَّدها من نازلةٍ مَرَضيَّة فتّاكة ملقياً نظرة عامّة على مشروع يتناول امرهُ الهيئة الاجتماعيَّة بما لهُ من النفع